منك كلمة واحدة تاتي بها في اخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله
اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي لقد علمت انك لصادق
ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني
ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند
الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على
ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف قالت قريش وقيل
ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق
ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة راس
اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في
الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت
العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم امنون في حرمهم
لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات
والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن
والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف
يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى
اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه قرئ بالياء والتاء وقرئ
تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الى فيه ويجنى الى
الخافه وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة
كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من
لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم
جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا
ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا امنوا به وخلعوا
انداده فان قلت بم انتصب رزقا قلت

ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى تجبى اليه ثمرات
كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان
جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب
عن النكرة المتخصصة بالصفة هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة
قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله تعالى عليهم بالرقود في ظلال
الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فغمطوا
فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصب معيشتها اما بحذف الجار
وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف
بنفسها كقولك زيد ظني مقيما او بتقدير حذف الزمان المضاف
اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين
بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو
ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه الا قليلا من السكنى قال
ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة
ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها
من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن
من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها
وسويناها بالارض تنوء خلف الديار عن اصحابها خبثا ويدركها
الفناء فيتبع وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت
حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها
وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا
يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى
حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه
وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع

Copyright © King Saud University